مجلة بحوث
كلية الآداب

البحث (٦)

أسباب نزول القرآن
في "تيسير البيان لأحكام القرآن" للموزعي
(بين النظرية والتطبيق)

إعداد

الباحث / ضياء ممدوح بدر محمد
للحصول على درجة الماجستير
كلية الآداب - جامعة المنوفية

السنة ٢٧ العدد (١٠٧) أكتوبر ٢٠١٦م

http : // Art.menofia . edu. eg *** E- mail: rifa2012@ Gmail.com

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أسباب نزول القرآن في " تيسير البيان لأحكام القرآن " للعوزي
(بين النظرية والتطبيق)

الباحث /ضياء ممدوح بدر محمد
كلية الآداب – جامعة المنوفية – للحصول على درجة الماجستير

الملخص

يعرض هذا البحث نموذجًا لبعض علوم القرآن الكريم وهو علم أسباب نزول الآيات القرآنية، عند علم من أعلام التفسير في بلاد اليمن، وهو الإمام نور الدين العوزي، ويستعرض الباحث من خلال هذا البحث أهمية معرفة أسباب النزول في تفسير القرآن الكريم، كما يبين تعريف أسباب النزول لغة واصطلاحًا، ويبين موقف العوزي من هذا التعاريف، كما يتحدث الباحث عن طرق معرفة أسباب النزول، وصيغ ورودة، كما بين مسألة هامة وهي تعدد الروايات في سبب نزول آية معينة، وتحدث عن جواز نزول الآية كاملة مرة واحدة، وقد تنزل متفرقة على عدة مرات.

وتكمن أهمية هذا البحث في أن أسباب النزول علم التي الأتي في مقدمة طرق التفسير، غير أنه قد يقع بعض الإشكال في طرق الاستدلال به على تفسير الآيات القرآنية، نتيجة نظرة جزئية لبعض الباحثون، لمواطن في كيفية معرفة أسباب النزول، كما أنه قد يقع خطأ وخلط فيما هو سبب من أسباب النزول، وفيما هو باجتهاد من المفسر ... إلخ.

لهذا وغيره كان من الضروري وضع منهج علمي تجب مراعاته على معرفة أسباب النزول، وكيفية معرفتها، وكيفية الاستفادة بها، وهو ما يحاول البحث أن يضطلع به..

والله من وراء القصد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المقدمـة

إن لعلم أسباب النزول أهمية عظيمة ومكانة عالية رفيعة وذلك لأمور منها:

١- ارتباط هذا العلم بعلمين عظيمين وهما: تفسير كتاب الله عز وجل، وسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، اللذان هما أساس الدين الإسلامي.

٢- أن معرفة سبب نزول الآية يعين على فهم معناها، فقد أشكلت بعض الآيات على بعض الصحابة فمن بعدهم، حتى عرفوا سبب نزولها فمما أشكل عليهم قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥] حتى أخبرهم أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه بسبب نزولها، قال أسلم أبو عمران التجيبي قال: كنا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صفا عظيما من الروم، فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر، وعلى أهل مصر عقبة بن عامر، وعلى الجماعة فضالة بن عبيد، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس وقالوا سبحان الله يلقي بنفسه إلى التهلكة فقام أبو أيوب الأنصاري فقال: يا أيها الناس إنكم لتؤولون هذه الآية هذا التأويل، وإنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما أعز الله الإسلام، وكثر ناصروه، فقال بعضنا لبعض سرا دون رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصروه فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم يرد علينا ما قلناه ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو فما زال أبو أيوب شاخصا في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم[1].

ومما أشكل عليهم قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ حتى نزل -على رواية- كما سيأتي إن شاء الله تعالى ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٢/٣) ح(٢٥١٢) كتاب الجهاد، باب في قوله تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ [البقرة: ١٩٥]، والترمذي (٢١٢/٥) ح(٢٩٧٢) ٤٤ - أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ومن سورة البقرة، والنسائي في الكبرى (٢٧/١٠) ح(١٠٩٦١) كتاب التفسير، قوله تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ [البقرة: ١٩٥].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣- كما أن أسباب النزول قد دخلها الدخيل كغيرها من سائر العلوم.

قال الو احدي رحمه الله في مقدمة كتابه أسباب النزول بعد ذكره كلام عبيدة السلماني لما سئل عن آية من القرآن فقال:" اتق الله وقل سدادا ذهب الذين يعلمون فيما أنزل القرآن:

• أما اليوم فكل أحد يخترع شيئا ويختلق إفكا وكذبا ملقيا زمامه إلى الجهالة غير مفكر في الوعيد للجاهل بسبب الآية، وذلك الذي حدا بي إلى إملاء هذا الكتاب الجامع للأسباب لينتهي إليه طالبو هذا الشأن والمتكلمون في نزول القرآن فيعرفوا الصدق ويستغنوا عن التمويه والكذب ويجدوا في تحفظه بعد السماع والطلب "[٢].

٤- كما أن من أهمية معرفة أسباب النزول التعرف على أسرار هذا التشريع العظيم وما في أسباب النزول من العبر وحل المشاكل التي قد ضاق بها أصحابها ذرعا فيأتي الفرج الإلهي، وذلك كقصة الثلاثة الذين خُلِّفُوا، وكقصة الإفك وما حصل لنبي الهدى من الأذى بسببه وكذا لأم المؤمنين إذ بكت حتى ظن أبواها أن البكاء فالق كبدها. فيأتي الفرج بعد الشدة.

٥- ومنها رجاء الاستفادة من مراحل التشريع فإننا في أمس الحاجة إلى أن نعتبر أنفسنا مجددين وأن نبدأ الدعوة من جديد وفي أسباب النزول الكثير الطيب من بيان مراحل الدعوة والتوجيهات الإلهية كآية القتال فإنها لم تنزل إلا بعد أن علم الله أن لهم اقتدارا على القتال إلى غير ذلك من الفرق بين المكي والمدني كما هو معروف.

إلى غير ذلك من الأسباب التي تدل على أهمية معرفة أسباب نزول الآيات القرآنية.

وينتظم هذا البحث في مقدمة ومبحثان وخاتمة:

المبحث الأول: معرفة أسباب النزول.

المبحث الثاني: طرق معرفة أسباب النزول.

خاتمة

(٢) الو احدي، أسباب النزول (ص٥).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الأول

معرفة أسباب النزول

إن لأسباب النزول أهمية كبيرة في التعرف على مدلول الآية ومفهومها ووجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم إذ كما قيل: «العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب».

قال الو احدي في أسباب النزول: «لا يمكن معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها»[٣].

وهذا الموضوع من الموضوعات المهمة في علم التفسير وهو يرتبط بعدة أنواع من علوم القرآن، منها فهم معاني القرآن ومفرداته، وعلم الناسخ والمنسوخ من القرآن، كما له ارتباط وثيق بعلم العام والخاص، وقد قال: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، كما أن شرف العلم مبني على شرف المعلوم، ولا شيء أشرف وأجل مما تكلم به سبحانه، أعني كلامه الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت: ٤٢] ، فخير ما بذلت فيه الجهود، وصرفت فيه الأعمار الاشتغال بكتاب الله العزيز وفهمه وتدبره.

ومن هذا يظهر أن نزول القرآن وارتباطه بعلم التفسير واضح ظاهر؛ لأن النزول قد يكون مرتبطًا بسبب وقد لا يكون، والأسباب التي نزل فيها آيات كريمات لا يشك أحد أنها داخلة في مدلول ومفهوم هذه الآيات.

قال ابن دقيق العيد:" بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن "[٤].

كما أنه مما يبرز أهمية أسباب النزول ومكانتها احتواء أسباب النزول على حكم التشريع البالغة، وأسرارها الباهرة، التي هي من أكبر الشواهد على كمال علم الله تعالى

---

(٣) ينظر- مختصراً سباب النزول -للو احدي،(ت:٧٣٢)،(١\١١)، ينظر- الإتقان في علوم القرآن- لجلال الدين للسيوطي ، دار الكتب العلمية- بيروت لبنان، الطبعة الأولي- (٢٠٠٨)، (١\٧٥)..

(٤) ابن دقيق العيد: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام (٢/٢٥٩) (المؤلف: ابن دقيق العيد، الناشر: مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر، بدون).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وحكمته، ورحمته بعباده ولطفه بهم، وما اشتملت عليه تلك الحكم من بيان مصالح الدارين والإرشاد إليها، وبيان مفاسد الدارين والنهي عنها، وأنه سبحانه لم يرحمهم في الدنيا برحمة، ولم يحسن إليهم إحسانًا أعظم من إحسانه إليهم بهذا الدين القيم، وتلك الشريعة الكاملة، ولهذا لم يذكر في القرآن لفظة المن عليهم إلا في سياق ذكرها قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات: ١٧].

وليس يخفى على كل منصف مريد للحق أن العلم بالحكمة الداعية إلى تشريع ما، مما يزيد الإيمان واليقين في قلوب مَن شُرِعَ لهم هذا الحكم، وتطمئن به نفوسهم، وتقر به عيونهم، لعلمهم أن هذا التشريع لم يأته تعنتًا، ولا تكلفًا، بل أتاهم رعاية لمصالحهم الدنيوية، كما أتاهم لحفظ مصالحهم الأخروية، ولهذا ما تجد من حُكْمٍ إلا وهو مقرون بعلته، وذلك في كثير من المواضع العديدة في الكتاب الكريم، وذلك كقول الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٣]، فبين سبحانه وتعالى أن الحكمة من تحويل القبلة لِيَتَمَيَّزَ من يتبع الرسول عن صدق وإيمان، ممن اتبعه لهوى في نفسه وكفران.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فحكمة عدم إتيان النساء في وقت الحيض أن هذا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحيض أذى، فالحكمة تقتضي البعد عن الأذى، وعدم القرب من النساء في زمنه حتى يؤذى الرجل ولا تؤذى المرأة.

قال الموزعي عن هذه الآية:" السائل أبو الدحداح(٥)، وقيل: غيره، سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقال: يا رسول الله ! كيف نصنع بالنساء إذا حِضْنَ؟ فأنزل الله هذه الآية(٦)، ونهى عن قربانهن حتى يطهرن، وبين أن العلة هي الأذى "(٧).

إلى غير ذلك من الآيات العديدة والكثيرة التي تبين الحكمة من التشريع، والعلة من الحكم، إذًا فأسباب النزول تكشف حِكَم الشريعة وأسرارها، وفي هذا من الخير ما لا يخفى فضله وشرفه.

ففي «صحيح البخاري»(٨) أن مروان بن الحكم أرسل إلى ابن عباس يقول: «لئن كان كل امرئ فَرِحَ بما أُتِيَ، وأَحَبَّ أن يُحْمَدَ بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعون» يشير إلى قول الله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٨] فأجاب ابن عباس قائلا: «إنما دعا النبي اليهود فسألهم على شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره فأروه أنهم قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أتوا من كتمانهم، ثم قرأ ابن عباس: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟

---

(٥) هو أبو الدحداح الأنصاري، ثابت بن الدحداح بن نعيم بن غنم بن إياس، وكان بلويًا حالف بني عمرو بن عوف. ويقال ثابت بن الدحداحة. ويكنى أبا الدحداح، وأبا الدحداحة، قيل: مات في غزوة أحد، وقيل بعد ذلك مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الحديبية. ينظر: ترجمته في: معرفة الصحابة لابن منده (ص: ٣٤٦)، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (١/ ٤٧٢)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٢٠٣)، وأسد الغابة (١/ ٤٤٠)، والإصابة (١/٥٠٣).

(٦) ينظر: تفسير الطبري (٤/ ٣٧٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٤٠٠)، وأسباب النزول للو احدي (ص: ٧٥)، ومعرفة الصحابة لابن منده (ص: ٣٤٦)، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (١/ ٤٧٢)، والإصابة (١/٥٠٣).

(٧)الموزعي: تيسير البيان لأحكام القرآن (١/٣٩٥).

(٨) أخرجه البخاري كتاب تفسير القرآن، باب (لا يحسبن الذين يفرحون بما أتوا) ح (٤٥٦٨) تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢هـ، ومسلم كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، ح (٨/٢٧٧٨) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٧-١٨٨] » .

وفي «الموطأ»(٩) عن هشام بن عروة بن الزبير عن أبيه أنه قال قلت لعائشة أم المؤمنين وأنا يومئذ حديث السن: أرأيت قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ [البقرة: ١٥٨] فما على الرجل شيء ألا يطوَّف بهما، قالت عائشة: كلا، لو كان كما تقول لكانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما، إنما نزلت هذه الآية في الأنصار كانوا يهلون لمناة(١٠)، وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله عن ذلك فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ [البقرة: ١٥٨] اهـ.

٥- ومنها ما ينبه المفسر إلى إدراك خصوصيات بلاغية تتبع مقتضى المقامات؛ فإن من أسباب النزول ما يعين على تصوير مقام الكلام (١١).

فبين ابن عاشور رحمه الله تعالى أهمية معرفة أسباب النزول بالنسبة للمفسر، وأنها تعينه على فهم مراد الله تعالى من الآية لأنها تأتي على خمسة أنواع:

١- بيان مجمل.

٢- أو إيضاح خفي وموجز.

---

(٩) موطأ مالك كتاب الحج، باب جامع السعي (٣٧٣/١) رقم (١٢٩)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة سنة: ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م.

(١٠) هو صنم من الأصنام التي كانت العرب تعبدها في الجاهلية، وكان أقدم هذه الأصنام، وكان بين المدينة ومكة، وكانت العرب جميعا تعظمه وتذبح حولهن ولم يكن أحد أشد إعظامًا له من الأوس والخزرج. ينظر: كتاب الأصنام للكلبي (ص ١٤)، تحقيق: أحمد زكي باشا، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الرابعة سنة: ٢٠٠٠م.

(١١) ابن عاشور: التحرير والتنوير (٤٧/١)(المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، الطبعة الأولى سنة: ١٩٨٤ هـ).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣- ومنها ما يكون وحده تفسيرا.

٤- ومنها ما يدل المفسر على طلب الأدلة التي بها تأويل الآية أو أحد أقوال.

٥- ومنها ما يلبه المفسر إلى إدراك خصوصيات بلاغية تدبع بالمناسبة.

ثم ذكر أنه تصفح أسباب النزول التي صحت أسانيدها فوجدها كما قالوا.

منها: ما هو المقصود من الآية يتوقف فهم المراد منها على علمه لا يمكن أن يعبر عنه للمفسر، وهذا منه تفسير مبهمات القرآن مثل قوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ [المجادلة: ١]، ونحو: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا ﴾ [البقرة: ١٠٤].

ومنها: ما يفيد البحث فيه زيادة تفهم في معنى الآية، وتعليلاً لحكمها وهو مهم لمدلولات الآيات النازلة عند حدوثها مثل قصة عويمر العجلاني[١٢] التي نزلت عليها آية اللعان[١٣]، ومثل حديث كعب بن عجرة الذي نزلت عليه آية:

(١٢) هو عويمر بن أبي أبيض العجلاني، وقيل: عويمر بن الحارث بن زيد بن جاطر بن الجد بن العجلان. وأبيض لقب لأحد آبائه، ينظر: ترجمته في: معرفة الصحابة لأبي نعيم (٤/ ٢١٠٦)، وأسد الغابة (٤/ ٣٠٤)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٨٨٢)، والإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٦٢٠).

(١٣) وهو الحديث المتفق عليه عند البخاري كتاب الطلاق، باب اللعان، ومن طلق بعد اللعان، (٥٣٠٧) ح (٥٣٠٨) ومسلم كتاب الطلاق، باب القضاء عدة المتوفى عنها زوجها، وغيرها بوضع الحمل (١١٢٩/٢) ح (١٤٩١) كلهما التفسير، عن سهل بن سعد الساعدي: ان عويمرا العجلاني جاء إلى عاصم بن عدي الأنصاري، فقال له يا عاصم ارأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا، أيقتله فتقتلونه، أم كيف يفعل؟ سل لي يا عاصم عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأل عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل وعابها، حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رجع عاصم إلى أهله جاءه عويمر، فقال: يا عاصم، ماذا قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال عاصم لعويمر: لم تأتني بخير، قد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسألة التي سألته عنها، فقال عويمر: والله لا انتهي حتى أسأله عنها، فأقبل عويمر حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وسط الناس، فقال: يا رسول الله، ارأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا، أيقتله فتقتلونه، أم كيف يفعل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قد أنزل فيك وفي صاحبتك، فاذهب فأت بها» قال سهل: فتلاعنا وأنا مع الناس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما فرغا من تلاعنهما، قال عويمر: كذبت عليها يا رسول الله إن أمسكتها، فطلقها ثلاثا، قبل أن يأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال ابن شهاب: فكانت سنة المتلاعنين.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ ﴾ [البقرة: ١٩٦](١٤).

ومنها: قسم يبين مجملات، ويدفع متشابهات مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [المائدة: ٤٤].

فإذا ظن أحد أن (من) للشرط أشكل عليه كيف يكون الجور في الحكم كفرًا ؟! ثم إذا علم أن سبب النزول هم النصارى علم أن (من) موصولة، وعلم أن الذين تركوا الحكم بالإنجيل لا يتعجب منهم أن يكفروا بمحمد – صلى الله عليه وسلم –.

ومنها: ما لا يبين مجملاً، ولا يؤول متشابهًا، ولكنه يبين وجه تناسب الآي بعضها مع بعض كما في قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النساء: ٣]، فقد تخفى الملازمة بين الشرط وجزائه فيبينها ما في الصحيح(١٥) عن عائشة – رضي الله عنها – أن عروة بن الزبير سألها عنها فقالت:" هي اليتيمة تكون في حجر وليها تشركه في ماله، فيريد أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها، فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن في الصداق، فأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن ". اهـ.

وبهذا تتبين مكانة أسباب النزول وأهميتها في فهم الكتاب العزيز، وإزالة ما قد يعلق بالأذهان من إشكال في فهم معاني القرآن، كما تكشف عن حكم الشريعة وأسرارها الباهرة.

ولهذا يجب على المفسر أن يعرف أسباب النزول، وسينتظم حديثي في أسباب النزول حول المطالب التالية:

---

(١٤) متفق عليه. البخاري أبواب المحصر، باب قول الله تعالى: {أو صدقة} [البقرة: ١٩٦] وهي إطعام ستة مساكين [البقرة: ١٩٦] (١٠/٣) ح (١٨١٥) كتاب الشركة، باب شركة اليتيم وأهل الميراث، ومسلم كتاب الحج، باب جواز حلق الرأس للمحرم إذا كان به أذى، ووجوب الفدية لحلقه، وبيان قدرها (٨٥٩/٢) ح (٨٢/١٢٠١) عن كعب بن عجرة قال: وقف علي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية ورأسي يتهافت قملا، فقال: «يؤذيك هوامك؟»، قلت: نعم، قال: " فاحلق رأسك، أو - قال: احلق - "، قال: في نزلت هذه الآية {فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه} [البقرة: ١٩٦] إلى آخرها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «صم ثلاثة أيام، أو تصدق بفرق بين ستة، أو انسك بما تيسر».

(١٥) متفق عليه. البخاري كتاب الشركة، باب شركة اليتيم وأهل الميراث ح(٢٤٩٤) ، ومسلم كتاب التفسير (٦/٣٠١٨).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المطلب الأول: تعريف " أسباب النزول "

إن مصطلح " أسباب النزول " مركب من كلمتين: " أسباب " و" نزول "، ويطلق على هذا مركب إضافي، أي أن كلمة " أسباب " أضيفت إلى كلمة "النزول"، ولمعرفة معنى هذا المركب الإضافي لا بد أولاً من بيان معنى كل كلمة على حدة، ثم بيان معنى المركب بعد أن صارتا جزئيا لعلم مخصوص.

أولاً: تعريف كلمة " أسباب ":

كلمة أسباب جمع، ومفردها سبب.

السبب في اللغة: اتفق علماء اللغة على أن مادة" س ب ب " تطلق على كل شيء يتوصل به إلى غيره، سواء كان الشيء حسيًا، كالحبل وغيره، أو معنويًا، كالقرابة وغيرها.

قال الفيروز ابادي: " والسبب: الحبل، وما يتوصل به إلى غيره،... وأسباب السماء: مراقيها أو نواحيها أو أبوابها "[١٦].

قال ابن منظور :" والسبب: كل شيء يتوصل به إلى غيره.. وهو الحبل الذي يتوصل به إلى الماء، ثم استعير لكل ما يتوصل به إلى شيء "[١٧].

ويتلخص من هذا أن السبب هو: كل شيء يتوصل به إلى أمر من الأمور.

---

(١٦) الفيروز ابادي: القاموس المحيط، مادة: س ب ب (٩٦/١) المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز ابادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

(١٧) ابن منظور: لسان العرب (٤٥٨/١) المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانيًا: تعريف " النزول ":

قال ابن فارس:" (نزل) النون والزاي واللام كلمة صحيحة تدل على هبوط شيء ووقوعه، ونزل عن دابته نزولاً، ونزل المطر من السماء نزولاً، والنازلة: الشديدة من شدائد الدهر تنزل "[١٨].

فهي تدل على هبوط من أعلى إلى أسفل.

ثالثًا: تعريف " أسباب النزول" اصطلاحًا:

بعد معرفة معنى " أسباب " و" النزول " لغة، كل على حدة، بقي معنى التعرف على معناه كمركب إضافي، وذلك من خلال كتب علوم القرآن.

بعد البحث عن تعريف مصطلح " أسباب النزول " تبين أنه لا يوجد تعريف واضح لهذا المصطلح عند المتقدمين من العلماء، ولعل هذا يعود إلى عدم عنايتهم بالدراسات النظرية عند أسباب النزول فقد كان همهم منصبًا على ذكر الأحاديث وطرقها شأنهم في ذلك شأن المؤلفين في تلك العصور المتقدمة.

إلا أنه يوجد في كتب المتأخرين تعريفات لمصطلح:" سبب النزول "، ومن هذه التعريفات:

قال السيوطي:" والذي يتحرر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه "[١٩].

وقال الزرقاني:" سبب النزول هو ما نزلت الآية، أو الآيات متحدثةً عنه، أو مبينة لحكمه أيام وقوعه "[٢٠].

---

(١٨) ابن فارس: مقاييس اللغة (٤١٧/٥)(المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، طبعة سنة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

(١٩) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن (١١٦/١)(المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/١٩٧٤ م).

(٢٠) الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن (١٠٦/١)(المؤلف: محمد عبد العظيم الزرقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ)، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الطبعة الثالثة).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقال مناع القطان:" سبب النزول...: هو ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة أو سؤال "(٢١).

ويقول صبحي الصالح في تعريف أسباب النزول:" ما نزلت الآية أو الآيات متضمنة له أو مجيبة عنه أو مبينة لحكمه زمن وقوعه "(٢٢).

ومن خلال هذه التعريفات لعدد من العلماء المتأخرين منهم والمحدثين يتبين أن من شروط تعيين سبب النزول هي:

أن تكون حادثة أو سؤالاً حدث أو سئل قبل نزول الآية أو الآيات.

أن تكون الآية أو الآيات نزلت بعد وقوع الحادثة أو السؤال.

أن يتزامن نزول الآية ووقوع الحادثة.

تحليل موقف الموزعي من مصطلح أسباب النزول:

الإمام الموزعي لم يعرف أسباب النزول ولم يتكلم عنها كما تكلم عن غيرها من العلوم في مقدمة كتابه:" تيسير البيان "، ولعل ذلك يرجع إلى بيان ووضوح مصطلح:" أسباب النزول "، فلوضوحه عند العلماء وطلبة العلم لم يذكره الموزعي ولم يبين المراد من مصطلح:" أسباب النزول ".

إلا أنه من خلال تتبع أسباب النزول في:" تيسير البيان "، وما حكم الموزعي أنه سبب نزول، يتبين أن الموزعي رحمه الله تعالى يأخذ بهذا التعريف وشروطه، وذلك للأدلة التالية:

١- جزم الموزعي بسبب النزول عند ذكر الواقعة والحادثة التي نزلت فيها الآية، أو عند توجيه سؤال للنبي صلى الله عليه وسلم – ونزول القرآن بالجواب عن هذا السؤال، كما في قول الله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ

(٢١) مناع: مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: ٧٨)(المؤلف: مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).

(٢٢) الصالح: مباحث في علوم القرآن (ص: ١٣٢)(المؤلف: صبحي الصالح، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة والعشرون ٢٠٠٠م).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٥].

قال الموزعي:" نزلت في عمرو بن الجموح، وكان شيخا كبيرا، وعنده مال عظيم، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم ماذا ننفق من أموالنا ؟ وأين نضعها ؟ فنزلت هذه الآية "[٢٣].

وكما في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

قال الموزعي عن هذه الآية:" السائل أبو الدحداح، وقيل: غيره، سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله ! كيف نصنع بالنساء إذا حضن؟ فأنزل الله هذه الآية ونهى عن قربانهن حتى يطهرن، وبين أن العلة هي الأذى "[٢٤].

٢- ذكر الموزعي أن من شرط النزول أن يكون في زمن الواقعة حتى يقال: إنه سبب نزول، وذلك عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ

(٢٣) الموزعي: تيسير البيان لأحكام القرآن (٣٦٨/١)، وسبب النزول مذكور عند ابن المنذر في تفسيره كما في الدر المنثور (٥٨٥/١)، والتفسير الوسيط للواحدي (١/ ٣١٨)، وبحر العلوم وهو تفسير السمرقندي (١/ ١٤١)، والوجيز للواحدي (ص: ١٦٢)، وتفسير البغوي (١/ ٢٧٣)، وتفسير القرطبي (٣/ ٣٦)، و أسباب النزول للواحدي (ص: ٦١)، ولباب المنقول للسيوطي (ص: ٤١).

(٢٤) الموزعي: تيسير البيان لأحكام القرآن (٣٩٥/١).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ
لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ [النساء: ٨٨ – ٩٠].

قال بعد بيان اختلافهم في سبب النزول:" وجميع ما ذكروه من الأسباب محكم في العصر الذي فيه النبي صلى الله عليه وسلم "[٢٥].

(٢٥) الموزعي: تيسير البيان لأحكام القرآن (٢/٤٣٣-٤٣٤).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثاني

طرق معرفة أسباب النزول

يعتمد العلماء في معرفة أسباب نزول الآيات على صحَّة الرواية عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، أوعلى صحَّة الرواية عن الصحابة؛ وذلك لأن إخبار الصحابي رضي الله عنه عن مثل هذا إذا كان صريحًا في سبب النزول لا يكون بالرأي، بل يكون له حكم المرفوع، وهذا لأن الصحابة رضي الله عنهم عاصروا نزول القرآن فهم يحكمون بما عاينوا.

كما وقع من الموزعي عند قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ [التحريم: ١ – ٢]. قال:"... سبب نزول هذه الآية: الذي ذهب إليه أهل التفسير، واشتهر عندهم أنها نزلت في مارية جارية النبي صلى الله عليه وسلم...والذي ذهب إليه أهل الحديث أنها نزلت في تركه لشرب العسل...

قال بعض أهل العلم بالحديث[٢٦]: والصحيح في نزول هذه الآية أنها في قصة العسل، لا في قصة مارية، فلم تأت قصة مارية – رضي الله عنها – من طريق صحيح "[٢٧].

فالمعول عليه في سبب النزول صحة الراوية عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة رضي الله عنهم.

قال الواحدي:" لا يحلُّ القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع مِمَّنْ شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها، وجدُّوا في الطلب "[٢٨].

---

(٢٦) نقله النووي عن القاضي عياض ينظر شرح النووي على مسلم (٧٧/١٠).

(٢٧) الموزعي: تيسير البيان لأحكام القرآن (٢٧٥/٤-٢٧٦).

(٢٨) الواحدي، أسباب النزول (ص: ٨)(المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح – الدمام، السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد قال الموزعي عند قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ
فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٦ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ
مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٧ ﴾ [النور: ٦ – ٧]: " والظاهر عندي – والله أعلم – أن هذه القصة
والتي قبلها سبب نزول هذه الآية، كما هو مصرح به من لفظ النبي صلى الله عليه و
ومن لفظ الراوي في حديث ابن عباس "(٣٠).

وهذا هو نهج علماء السلف، فقد كانوا يتورّعون عن أن يقولوا شيئًا في ذلك دون ثبت.

"قال محمد بن سيرين(٣١): سألت عبيدة(٣٢) عن آية من القرآن فقال: اتق الله
سدادًا، ذهب الذين يعلمون فيما أنزل الله من القرآن "(٣٣)، وهو يعني الصحابة. وإنا
هذا هو موقف عبيدة السلماني وابن سيرين، وهما من أعلام علماء التابعين، تحريًا للر
ودقة في النقل، فإنه يدل على وجوب الوقوف عند أسباب النزول الصحيحة عن
الرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن علمها، وهم الص
رضي الله عنهم، ولذا فإن المعتمد من ذلك فيما روي من أقوال الصحابة ما كانت
جارية مجرى المسند، بحيث تكون هذه الصيغة جازمة بأنها سبب النزول.

---

(٢٩) يعني قصة هلال بن أمية حينما قذف امرأته أخرجها البخاري كتاب التفسير، {ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات
إنه لمن الكاذبين} [النور: ٨]، (٦/١٠٠) ح(٤٧٤٧)، عن ابن عباس، أن هلال بن أمية، قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه و
بشريك ابن سحماء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «البينة أو حد في ظهرك»، فقال: يا رسول الله، إذا رأى أحدنا على امرأته ر
ينطلق يلتمس البينة، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «البينة وإلا حد في ظهرك» فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لص
فلينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد، فنزل جبريل وأنزل عليه: {والذين يرمون أزواجهم} [النور: ٦] فقرأ حتى بلغ {إن كان
الصادقين} [النور: ٩] فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل إليها، فجاء هلال فشهد، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إن
يعلم أن أحدكما كاذب، فهل منكما تائب» ثم قامت فشهدت، فلما كانت عند الخامسة وقفوها، وقالوا: إنها موجبة، قال ابن عب
فتلكأت ونكصت، حتى ظننا أنها ترجع، ثم قالت: لا أفضح قومي سائر اليوم، فمضت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أبصرو
فإن جاءت به أكحل العينين، سابغ الأليتين، خدلج الساقين، فهو لشريك ابن سحماء»، فجاءت به كذلك، فقال النبي صلى الله عليه وس
«لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن».

(٣٠) الموزعي: تيسير البيان لأحكام القرآن (٤/٥٧).

(٣١) هو محمد بن سيرين أبو بكر الأنصاري، الإمام، شيخ الإسلام، الأنسي، البصري، مولى أنس بن مالك خادم رسول الله ص
الله عليه وسلم-، مات محمد بعد الحسن البصري بمائة يوم، سنة عشر ومائة. ينظر: ترجمته في: طبقات ابن سعد (٧/ ١٩٣)، و
التهذيب (٩/ ٢١٤)، سير أعلام النبلاء (٤/٦٠٦).

(٣٢) هو عبيدة بن عمرو السلماني المرادي الكوفي، الفقيه، المرادي، الكوفي، أحد الأعلام، أسلم عبيدة في عام فتح مكة
اليمن، ولا صحبة له، في سنة وفاة عبيدة أقوال، أصحها: في سنة اثنتين وسبعين. ينظر: ترجمته في: طبقات ابن سعد (
تهذيب التهذيب (٧/ ٨٤)، سير أعلام النبلاء (٤/٦٠٦)..

(٣٣) السيوطي الإتقان (١/ ١١٥).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقال غيره: معرفة سبب النزول أمر يحصل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا وربما لم يجزم بعضهم فقال أحسب هذه الآية نزلت في كذا كما أخرج الأئمة الستة عن عبد الله بن الزبير قال: خاصم الزبير رجلا من الأنصار في شراج الحرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك فقال الأنصاري: يا رسول الله إن كان ابن عمتك! فتلون وجهه ... " الحديث. قال الزبير: فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [النساء: ٦٥][٣٤] ،

وهذا ما اعتمده الموزعي في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ ﴾ [الممتحنة: ١] قال:" خرج البخاري في جامعه[٣٥] عن سفيان، ثنا عمرو بن دينار، قال: حدثني الحسن بن محمد بن علي، أنه سمع عبيد الله بن أبي رافع، كاتب علي، يقول: سمعت عليًا يقول: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد، فقال:« انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ[٣٦]، فإن بها ظعينة[٣٧] معها كتاب فخذوه منها »، فذهبنا تعادى[٣٨] بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عِقاصها[٣٩]، فأتينا به النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين ممن بمكة، يخبرهم ببعض أمر النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:« ما هذا يا حاطب ؟ ». قال: لا تعجل

(٣٤) المصدر السابق (١ /١١٥)، والحديث أخرجه البخاري كتاب تفسير القرآن، باب {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم} [النساء: ٦٥] (٤٦/٦) ح (٤٥٨٥)، ومسلم كتاب الفضائل، باب وجوب إتباعه صلى الله عليه وسلم (١٨٢٩/٤) ح (١٢٩/٢٣٥٧).

(٣٥) صحيح البخاري كتاب تفسير القرآن، باب {لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء} [الممتحنة: ١]، (١٤٩/٦) ح (٤٨٩٠) ، ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل اهل بدر، رضي الله عنهم (١٩٤١/٤) ح (٢٤٩٤).

(٣٦) موضع بين مكة والمدينة (شرح البغا على صحيح البخاري (١٠٩٥/٣)).

(٣٧) المرأة في الهودج وقيل المرأة عامة واسمها سارة وقيل كنود(شرح البغا على صحيح البخاري (١٠٩٥/٣)).

(٣٨) تباعد وتجاري(شرح البغا على صحيح البخاري (١٠٩٥/٣)).

(٣٩) هو الشعر المضفور(شرح البغا على صحيح البخاري (١٠٩٥/٣)).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

علي يا رسول الله، إني كنت امرأ ملصقًا[٤٠] في قريش، ولم أكن من أنفسهم[٤١]، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهلهم وأموالهم بمكة، فأحببت إذ فاتني من النسب فيهم، أن أصطنع إليهم يدًا يحمون قرابتي، وما فعلت ذلك كُفرًا، ولا ارتدادًا عن ديني، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:« إنه قد صدقكم ». فقال عمر: دعني يا رسول الله فأضرب عنقه، فقال: « إنه شهد بدرا وما يدريك؟ لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ». قال عمرو: ونزلت فيه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [الممتحنة: ١] قال: لا أدري الآية في الحديث، أو قول في عمرو »[٤٢].

قلت: وعمرو هذا هو ابن دينار[٤٣] وهو من التابعين، وقول سفيان[٤٤] هذا يدل على أنه يفرق بين من صرح بسبب النزول بين الصحابة وغيرهم، إلا أنه يقبل من التابعين أيضا

(٤٠) مضافا إليهم ولست منهم وقيل معناه حليفا ولم يكن من نفس قريش وأقربائهم (شرح البغا على صحيح البخاري (١٠٩٥/٣)).

(٤١) أي لست منهم(شرح البغا على صحيح البخاري (١٠٩٥/٣)).

(٤٢) الموزعي: تيسير البيان لأحكام القرآن (٢٢٧/٤).

(٤٣) هو عمرو بن دينار أبو محمد الجمحي مولاهم، الإمام الكبير، الحافظ، أبو محمد الجمحي مولاهم، المكي، الأثرم، أحد الأعلام، وشيخ الحرم في زمانه. ينظر: ترجمته في: طبقات ابن سعد (٥ / ٤٧٩)، الجرح والتعديل (٦ / ١٣١)، سير أعلام النبلاء (٣٠٠/٥)، تهذيب التهذيب (٨ / ٢٨).

(٤٤) هو أبو عبد الله الكوفي، أحد الأئمة الأعلام سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الثوري، ، قال ابن المبارك ما كتبت عن أفضل من سفيان، قال العجلي كان لا يسمع شيئًا إلا حفظه. قال ابن حجر ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة. توفي رحمه الله بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة. ينظر: ترجمته في: تهذيب الكمال (١٥٤/١١)، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال (٣٩٦/١)، تقريب التهذيب (٣١١/١).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخاتمة

كما سبق أن أشرنا في المقدمة، فإن أسباب النزول تأتي في صدارة طرق التفسير على الإطلاق، الاستدلال بها لتفسير القرآن من طرق الأئمة في تفسير القرآن الكريم، غير أنه لا يُشترط دومًا أن يوفق فاعله إلى الصواب، بل قد يخفق، لا بسبب اعتماده على أسباب النزول في التفسير القرآن الكريم، وإنما لما قد يقع من الإخفاق والخطأ في كيفية الاستدلال بأسباب النزول في التفسير، أو تقصير في دراسة استخدام الأئمة لها في الوصول لتفسير الآيات، أو لأمور أخرى تجب مراعاتها، ربما تكون خاصة بكل موطن على حدة، قد تغيب عن المستدل بأسباب النزول عن ذهنه وتفكيره.

ولما كان ما سبق مقررًا في التفسير بصفة عامة، كانت معرفة أسباب النزول من الأهمية بمكان، لخصوصية أسباب النزول في موطن نزولها، كما هي لعمومة ألفاظ الآيات من ناحية أخرى فليس العبرة بخصوص السبب بل بعموم اللفظ، لذا كان من الواجب على المفسر معرفة أسباب النزول ومراعاة دراسة المواطن المتعلقة بها في القرآن كله، والوقوف على مدلولاتها بشكل واضح.

وقبل كل ذلك لا بد من الوقوف على الثمرة العلمية أو العملية من تحديد سبب النزول، فبعض ما يظن أنه من أسباب النزول لا قيمة علمية ولا عملية منه، ولعل ذلك سبب من أسباب الوقوع في تفسير الآيات القرآنية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المصادر والمراجع

١- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (١٣٢٥هـ- ١٣٩٣هـ)، دار عالم الفوائد، د.ت.

٢- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف باسم تفسير البيضاوي، ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي (٦٩١هـ)، إعداد وتقديم محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، د.ت.

٣-تفسير البغوي، معالم التنزيل، للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (٥١٦هـ)، تحقيق محمد عبدالله النمر وعثمان جمعة وسليمان مسلم، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض.

٤- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، (١٢٩٦هـ- ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، د.ت.

٥- تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي أبوالليث (ت ٣٧٥هـ)، تحقيق عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض والدكتور زكريا عبدالحميد، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

٦- تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، محمد الرازي، فخرالدين (٥٤٤هـ- ٦٠٤هـ) ابن العلامة ضياء الدين عمر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.

٧- تفسير القرآن الحكيم المشتهر بتفسير المنار، محمد رشيد رضا (١٢٨٢هـ- ١٣٥٤هـ)، دار المنار الطبعة الثانية ١٣٦٦هـ ١٩٤٧م.

٨- سنن الترمذي، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner